التطور الدلالي (في لغة الفقهاء)

د . حامد صادق قنيبي / جامعة البترول والمعادن

كلية العلوم ـ قسم الدراسات الاسلامية والعربية

ـ الظهران ـ

يكاد يتفق علماء اللغة على ان معرفة نشاة اللغة العربية وتطورها التاريخي قبل الاسلام من المسائل الشائكة التي تتسع فيها الآراء وتقبل اختلاف وجهات النظر ، وذلك لعدة اسباب منها ، ان اللهجات العربية القديمة المروية في الكتب العربية لا توجد آثارها جلية واضحة في الشعر الجاهلي ، كما اننا نفتقر الى نصوص مكتوبة او آثار نستطيع ان نحدد على ضوئها تاريخ العربية قبل الاسلام . لذلك نقول : ان اللغة التي نستخدمها اليوم في الكتابة والتاليف والادب ، هي اللغة التي وصلتنا عن طريق الشعر الجاهلي والقرآن الكريم والسنة النبوية .

لقد ضمن القرآن لهذه اللغة الخلود ، وقد ساعدت تلاوة القرآن الكريم على ثبات تلك اللغة ولا سيما في جانبها الصوتي ، وهو اكثر جوانب اللغة تعرضا للتغيير والانحراف والتشويه ، فضلا على ان الاسلوب القرآني ظل المقياس الامثل لرقي اساليب الكتاب والشعراء ، حتى ان مكانة اي كاتب او شاعر تقاس دائما بمقدار ما يقترب من مثالية الاسلوب القرآني ، او يبتعد عنه .

الا ان هذا الذي قررناه حول ثبات اللغة العربية وخلودها لم يمنع من حدوث بعض التطورات في الآداء الصوتي من جانب ، وفي المقررات والتراكيب من الجانب

الآخر • وهذا من طبائع الاشياء • وحسبنا أن نقرأ نصا قديما ، ثم نقارنه بنص لكاتب معاصر حتى نلمس الفرق بين النصين ، ولا بأس أن يكون هذا النص مما نحن بصدد الكتابة فيه :

هذا البيضاوي (ت 685 هـ) يكتب مفسرا (1) قوله تعالى : (وعلم آدم الاسماء كلها ، ثم عرضهم على الملائكة ، فقال : انبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين) (2) :

(وعلم آدم الاسماء كلها) اما بخلق علم ضروري بها فيه أو الهاء في روعه ، ولا يفتقر الى سابقة اصطلاح ليتسلسل ، والتعليم فعل يترتب عليه العلم غالبا ، ولذلك يقال : علمته فلم يتعلم • و (آدم) اسم أعجمي كآزر وشالخ ، واشتقاقه من الادمة أو الادمة بالفتح بمعنى الاسوة ، أو من أديم الارض ••• (والاسم) باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشيء ودليلا يرفعه الى الذهن من الالفاظ والصفات والافعال واستعماله عرفا في اللفظ الموضوع لمعنى سواء كان مركبا أو مفردا مخبرا عنه أو خبرا أو رابطة بينهما ، واصطلاحا في المفرد الدال على معنى في نفسه غير مقترن باحد الازمنة الثلاثة ، والمراد في الآية اما الاول أو الثاني ، وهو يستلزم الاول لان العلم بالالفاظ من حيث الدلالة متوقف على العلم بالمعاني ، والمعنى أنه تعالى خلقه من اجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعدا لادراك أنواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات والهمه معرفة ذوات الاشياء وخواصها وأسمائها وأصول العلوم وقوانين الصناعات وكيفية آلاتها (ثم عرضهم على الملائكة) الضمير فيه للمسميات المدلول عليها ضمنا اذ التقدير أسماء المسميات فحذف المضاف اليه لدلالة المضاف عليه وعوض عنه السلام كقوله تعالى : (واشتعل الرأس شيبا) لان العرض للسؤال عن أسماء المعروضات فلا يكون المعروض نفس الاسماء سيما ان أريد به الالفاظ والمراد به ذوات الاشياء ، أو مدلولات الالفاظ وتذكيره لتغليب ما اشتمل عليه من العقلاء •

أما سيد قطب (ت 1386 هـ) فكتب في شرح الآية الكريمة نفسها (3) : (ها نحن أولاء – بعين البصيرة في ومضات الاستشراق – نشهد ما شهده الملائكة في الملا الاعلى •• ها نحن أولاء نشهد طرفا من ذلك السر الالهي الذي أودعه الله هذا الكائن البشري ، وهو يسلمه مقاليد الخلافة • سر القدرة على الرمز بالاسماء للمسميات • سر القدرة على تسمية الاشخاص والاشياء بأسماء يجعلها – وهي ألفاظ منطوقة – رموزا لتلك الاشخاص والاشياء المحسوسة • وهي قدرة ذات قيمة كبرى في حياة الانسان على الارض • ندرك قيمتها حين نتصور الصعوبة الكبرى ، لو لم يوهب الانسان القدرة على الرمز بالاسماء للمسميات ، والمشقة في التفاهم والتعامل بمصير يحتاج كل فرد لكي يتفاهم مع الآخرين على شيء أن يستحضر هذا الشيء بذاته أمامهم ليتفاهموا بشأنه •• الشأن شأن نخلة فلا سبيل الى التفاهم عليه الا باستحضار جسم النخلة ! الشأن شأن جبل • فلا سبيل الى التفاهم عليه الا بالذهاب الى الجبل ! ••• انها مشقة هائلة لا تصور معها حياة ! وان الحياة ما كانت لتمضي في طريقها لو لم يودع الله هذا الكائن القدرة على الرمز بالاسماء للمسميات •

---

1) البيضاوي ، ناصر الدين ابي سعيد عبد الله بن عمر (ت685 هـ) / انوار التنزيل واسرار التاويل المعروف بتفسير البيضاوي ص 24 • مصور عن طبعة استنابول ، الطبعة العثمانية ، 1305 هـ.

2) البقرة. :

3) سيد قطب / في ظلال القرآن 1/67 • دار التراث العربي ، بيروت ط 5 ، 1967 م .

فأما الملائكة فلا حاجة لهم بهذه الخاصية ، لانها لا ضرورة لها في وظيفتهم • ومن ثم لم توهب لهم • فلما علم الله آدم هذا السر ، وعرض عليهم ما عرض ثم يعرفوا الاسماء • لم يعرفوا كيف يضعون الرموز اللفظية للاشياء والشخوص •• وجهروا أمام هذا العجز بتسبيح ربهم ، والاعتراف بعجزهم ، والاقرار بحدود علمهم ، وهـو مـا علمهم » •

فاللفظ عند البيضاوي ذو معنى يناسب عصره ، يجمع بين التفسير والتأويل ، ويقرر الادلة على أصول أهل السنة • ودلالة ألفاظه تعكس ما كان يتسلح بـه مفسرو القرآن الكريم من قوة العقل ، وسعـة الافـق والنظر ، والمشاركة في مختلف العلوم من نحو وصرف وبلاغة ومنطق وجدل وفقه ورواية وفلسفة وطبيعيات ، مع ما نجد من بعض التكلف والاغراب من نحو (سابقة اصطـلاح ليتسلسـل (4)) و (الاسـم باعتبـار الاشتقاق) ، أى بالمعنى اللغوي • ونحن لا نستعمل هذه اللفظة في هذا المعنى الآن •

والجملة تميل الى التفريع والاستطراد مع اتجـاه فكري ينزع الى أساليب الفلاسفة ، واعلاء قضايا العقل من نحو (لادراك أنواع المدركـات مـن المعقـولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات (5)) •

وله في استعمال الادوات ، أقصد : الحروف ومـا هو في وظيفتها ، فذات نظم خاص ، واستعمال غريب عن استعمالنا اليوم ، فعبارة البيضاوي (اما بخلـق علم ضروري بها فيه) ـ (اما ، بها ، فيه) ، أي بمـا أودع الله سبحانه قلب آدم معرفة الاسماء ، وفتق لسانه بها فكان يتكلم بتلك الاسماء كلها •

أما النص الذي اخترناه لسيد قطب فهو يقدم لنا خصائص لغتنا المعاصرة ، فاسلوبه مسترسل بأناقة يفيض بأطاقات الشعورية والاحاسيس ، وألفاظه ذات موسيقى جميلة ، دون تكلف ، أو لجوء الـى الحـذف والتضميـن •

ـ 2 ـ

ليس معنى هذا أن المتأخرين يخترعون الالفاظ ، أو يخلقون لغة من العدم ، فالمادة الاولية للغة ثابتة ، ولكن أشكالها متجددة ، وأي باحث يدرك بأدنى تأمل أن الاشكال اللغوية لا تثبت على حال فهناك صيـغ تولد لم يكن الناس يعرفونها من ذي قبل ـ كما ولدت كلمات سوكرة ، وتأمين ، وتأميم •• وغيرها ، فتشيع وتنتشر وتأخذ مكانها في الاستعمال الى أمد ثم لا يلبث بعضها أن يذبل ، أو يموت لتخلف مكانها كلمة أخرى، كما ماتت كلمة (النشيطة) وحل محلها كلمة (صفي)، أو تموت لا الى خلف كما ماتت كلمـات : المريـاع ، والمكس ، والاقاوة ، والحلوان بمعنى الاجر •• وغيرها من مئـات الكلمـات (6) •

ولكن السؤال الآن : ما الذي يدعو الى مثل هذا التطور في عناصر اللغة ومدلولات ألفاظها ؟

---

4) التسلسل : ترتيب امور غير متناهية (تعريفات الجرجاني) •

5) المتخيلة : هي القوة التي تتصرف في الصور المحسوسة والمعاني الجزئية المنتزعة وتصرفها ، اما الموهومات فهي قضايا يحكم بها الوهم في أمور غير محسوسة (كله عن تعريفات الجرجاني) •

6) انظر السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر (ت 911 هـ) / المزهر في علوم اللغة وانواعها 2 / 296 ط • دار احياء الكتب العربية ، القاهرة • تحقيق محمد احمد جاد المولى وآخـريـن •

لن نفصل القول في الاسباب التي تدعو الى ولادة بعض الالفاظ في اللغة بشكل عام ، حتى لا نخرج عن موضوعنا الذي خصصناه بـ (لغة الفقهاء) ، ولكننا لا نستبعد الحديث عن بيان التطور الدلالي الذي لحق (العربية) في أصواتها ومفرداتها واساليب دلالاتها ، فاللغة مرآة تنعكس عليها حضارة الامة ، ونظمها ، وعقائدها ، واتجاهاتها العقلية .

ونرى ان أهم عامل أدى الى طرء مثل هذا القبول في (العربية) كان انتقال العرب من خشونة البداوة الى ليـن الحضـارة .

فبعد الفتوحات الاسلامية دعت مرافق العمران من زراعة وصناعة وتجارة وملاحة وحياكة وطراز وهندسة وبناء .. وما أشبه من الحرف والفنون الى الاخذ عن الامم الاخرى عادات ومصطلحات ومسميات جديدة في الماكل والمشرب والملبس والفرش والزينة والحلي والاواني والادوات والاسلحة والاجهزة والطب والصيدلة، ولما لم يعهد العرب التعبير عن هذه المستحدثات في حياتهم الاولى ، فقد أخذوا في نقل قسم من الفاظها الاعجمية بعد تعريبها والتصرف بها ، كما لجأوا الى الاشتقاق والتوسع في الكتابة والمجاز أيضا ، وهكذا تولدت ألفاظ جديدة .

نذكر على سبيل المثال هذه الالفاظ .

إبريسم : للحرير الخالص ، فارسي دخيل .

أردب : مكيال تقدر به الحبوب ، أرامي دخيل .

أزميل : شفرة الحذاء أو حديدة في طرف رمح لصيد بقر الوحش ، يوناني دخيل .

أسثار : أربعة ، فارسي من چهار .

أسطرلاب : الآلة التي يعرف بها الوقت ، يوناني من استرولابون .

اسفيداج : رماد الرصاص ، أرامي من سفيدج .

أسقف : رئيس ديني عند المسيحيين ، يوناني من أبيسكوبوس .

اصطبل : مربط الدواب ، لاتيني من ستبلم .

اكسير : ما يلقى على الفضة ونحوها ليحيله الى ذهب خالص في رأي المتقدمين ، يوناني من كسيرون .

بستان : حديقة ، فارسي من بوستان .

بشكير : ما ينشف به الجسم بعد الاستحمام ، فارسي من پيشجير .

بطريق : الرئيس والعظيم من الروم والقائد من قوادهم ، يوناني من پتريكيوس .

بندقة : آلة من آلات الحرب ، فارسي بندق .

دهليز : ممر ، فارسي دخيل .

زرنيخ : حجر له ألوان كثيرة اذا جمع مع الكلس حلق الشعر ، يوناني من ارسنيكون .

سفتجة : خط ، وأصلها أن يكون لواحد ببلد متاع عند رجل أمين فيأخذ من آخر عوض ماله ويكتب

له خوفا من غائلة الطريق ، فارسي من سفته ٠

سمسار : وسيط وبائع وشاري وساعي للواحد منهما ، فارسي من سپسار ٠

شطرنج : لعبة شهيرة يلعبها اثنان عادة ، هندي من نشطورنجا ٠

صك : وثيقة ، فارسي دخيل ٠

طراز : زخرفة للملابس ، فارسي من تراز ٠

طيلسان : معطف من الصوف ، فارسي تاليسان٠

عربون : ما تعقد به المبايعة من ثمن ، يوناني من أربون ٠

فهرس : خاتمة محتويات الكتاب ، يوناني من پوريستيس ٠

فيلسوف : حكيم ، يوناني من فيلوسوفوس ٠

قنطرة : ما يبنى على الماء للعبور وكذلك ما ارتفع من البنيان ، يوناني من كنتاناريون ٠

نرجس : زهرة من ازهار الربيع ، يوناني من نركيسوس ٠

وسق : ستون صاعا ، أرامي من وسقا ٠

ياسمين : زهرة طيبة الرائحة ، فارسي دخيل ٠

ومن الالفاظ الحديثة :

بنزين : سائل لوقود السيارات والطائرات ، انجليزي دخيل ٠

بوليصة : وثيقة ، ايطالي من بوليتزه ٠

دوسيه حافظة الاوراق ، فرنسي دخيل ٠

سندويتش : شطائر محشوة ، انجليزي من سندويش : نسبة الى مخترعه اللورد Sandwich الذي عاش فيما بين عامي 1718 ــ 1792 م ٠

شاي : شراب منبه يشرب عادة ساخنا ، صيني من چاي ٠

فاتورة : قائمة بالاشياء أو المبالغ المطلوبة ، ايطالي فتورا ٠

كابون : بطاقة للتبادل ، أو فصلة من فصلات القماش ، فرنسي من كوپون ٠

كروكي : رسم ، فرنسي من كروكري ٠

كمبيالة : حوالة مالية ، ايطالي دخيل ٠

لتر : مكيال للسوائل ، فرنسي دخيل ٠

موبيليا : اثاث المنزل ، ايطالي دخيل ٠

موتور : محرك الماكينة وما اليها ، انجليزي دخيل

نمرة : رقم ، ايطالي من نمرو ٠

نيلون : مادة مركبة تصنع منها الاقمشة والجوارب وكثير من أدوات الملبس واثاث المنزل ، انجليزي دخيل ٠

وهكذا نرى أن العرب قد استعاروا من كل الامم ألفاظا للتعبير عن أشياء دعت اليها الحاجة أو الضرورة وقد عمدوا الى تلك الالفاظ فحوروا في بنيتها وجعلوها على نسج الكلمات العربية ، وهي ما تسمى بالالفاظ العربية (7) ، وتركوا البعض الآخر على صورته وهي التي تسمى بالدخيل (8) . على أننا يمكن أن نذكر أسبابا أخرى للتطور الدلالي منها :

أ ـ الرغبة في البدل . وهذه الرغبة تنشأ :

ـ اما من ثقل اللفظ الاصيل على النطق نحو كلمة (حوجم) التي استبدلت بكلمة « ورد » ، وكلمة (مستشزر) التي استبدلت بكلمة (خشن) .

ـ تلمس الحشمة والادب في التعبير ، وخاصة فيما يتصل بالالفاظ الجنسية ، وقد لجأت (العربية) بعد الاسلام الى الكتابة والمجاز ، وكان لها في ألفاظ القرآن وعباراته أسوة حسنة : (نساؤكم حرث لكم) ، (واهجروهن في المضاجع) ، (أو لامستم النساء) ، (وقد أفضى بعضكم ببعض) .. وما الى ذلك من كريم العبارات ونبيل الالفاظ . وقد ذكر ابو حيان التوحيدي في كتابه (مثالب الوزيرين) :

ماذا ارادت العرب بتكثير اسماء الفرج مع قبحها ؟ فاجاب : لما راوا الشيء قبيحا جعلوا يكنون عنه، وكانت الكناية عند فشوها تصير الى حد الاسم الاول، فينتقلون الى كناية أخرى ، فاذا اتسعت أيضا راوا فيها من القبح مثل ما كنوا عنه من أجله ، وعلى هذا فكثرت الكنايات ، وليس غرضهم تكثيرها) (9) .

ـ واما لمجرد التقليد ، وهذا يعود الى جذور نفسية عقد لها ابن خلدون في مقدمته فصلا خاصا جعل عنوانه (ولغ المغلوب بالاقتداء بالغالب في مأكله ومشربه وملبسه ولغته ...) (10) ، ومن هذا ما نراه اليوم من كثرة استعمال الالفاظ الاجنبية للآلات والمخترعات ، بل وفي اللغة اليومية ، حتى أننا لنجد لفظة أجنبية حلت محل لفظة عربية عند بعض الفئات ، رغم ثقل اللفظ الاجنبي على السمع واللسان ، وخفة اللفظ العربي ، كحلول لفظ Excuse me الانجليزية محل (عذرا) أو (اعذرني) العربية .

ـ الصراع اللغوي ، وأهم عوامله : الفتح ، والاستعمار ، الحرب ، هجرة السكان ، واحتكاك شعبين متجاورين ، والعلاقات التجارية أو الثقافية بين امتين، وتقارب الشعبين في درجة الحضارة والثقافة أو تباعدهما فيهما .. وغيرها من العوامل ، ومن أجلي مظاهر هذا الصراع في تاريخ العربية المعاصر صراعها مع اللغة الفرنسية في الجزائر بسبب الاستعمار .

ب ـ ضيق الدلالات المحملة لالفاظ اللغة عن استيعاب دلالات جديدة حدثت ، وعندئذ يلجأ الى استعارة اللفظ من دلالته الاصلية لصالح دلالة جديدة مع وجود علاقة بين الدلالة الاصلية والدلالة الحديثة ، كما هو الحال في لفظ (صلاة) مثلا فانه يدل في الاصل

---

7) أنظر السيد أدى شير / الالفاظ الفارسية المعربة ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت 1908 م .

8) أنظر الجواليقي ، أبو منصور بن أبي طاهر (ت 540 هـ) / المعرب من الكلام الاعجمي ، تحقيق احمد محمد شاكر ، القاهرة وزارة الثقافة ، ط 2 ، 1389 هـ .

9) مثالب الوزيرين ص 254 وما بعدها ، ط دمشق 1961 .

10) ابن خلدون ، عبد الرحمن / المقدمة ص 258 ط 2 دار الكتاب اللبناني ، بيروت 1979 م .

على معنى (الدعاء) ولكن لما جد معنى جديد وهو وجود مجموعة أقوال وأفعال على هيئة معينة مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم يتقرب بها الى الله تعالى ، ولم يكن لها في اللغة لفظ خاص يدل عليها ، كان لا بد من توليد لفظ لها ، فكان لفظ (الصلاة) لما يحمله هذا اللفظ من المعاني العامة في القرب من الله (11) ٠

ومن هنا كانت القاعدة في فقه اللغات بوجه عام أن الكلمة الواحدة تعطي من المعاني والدلالات بقدر ما يتاح لها من الاستعمالات (12) ٠ فكلمة مثل (قطار) تدل على قطار السكة الحديد ، ولكن معناها المعجمي القديم : الابل يسير الواحد منها وراء الآخر ؛

ـ 4 ـ

ولكن الشيء الذي لا يجوز لباحث أن يتجاوزه حتى يبينه في هذا المقام هو : هل يحق لاي باحث أن ينقل اي لفظ من معناه الاصلي الى معنى جديد ـ أعني المعنى الاصطلاحي ـ دون قيد أو شرط ، أو لا بد أن يكون هناك شروط يجب مراعاتها في هذا النقل ؟

ولكننا بادىء بدء اذا قلنا بحرية نقل الالفاظ من معانيها الاصلية الى المعاني المستجدة ـ أي الاصطلاحية ـ دون قيد أو شرط كنا قائلين بالفوضى اللغوية ، وقد تؤدي هذه الفوضى باللغة وتخرجها عن أصولها ، وهذا مالا يرضاه باحث منصف ، ولا محب غيور ٠

واذا كان الامر كذلك فلا بد من البحث عن الشروط الواجب توفرها لجواز هذا النقل ، وقد سبقنا من استقرأ هذه الشروط والقيود (13) فوجدها لا تخرج عما يأتي :

أ ـ لا بد من وجود علاقة بين المعنى الاصلي والمعنى الجديد ، ولكن لا يشترط أن تكون هذه العلاقة قد وصلت الى حد المطابقة ، بل يكتفي بأدنى علاقة٠

ب ـ لا بد أن يراعى في وضع المصطلح الاهتمام بالمعنى قبل اللفظ ٠

ج ـ يستحسن ألا يختار المصطلح من بين الالفاظ ذات الدلالات الاصلية الشائعة المعروفة ، لان نقل الذهن عنها الى غيرها من الصعوبة بمكان ٠

د ـ يستحسن ألا يصطلح بلفظ واحد لتادية معان علمية مختلفة ، ولكن يلاحظ أن الفقهاء المسلمون لم يتقيدوا بهذا الشرط كثيرا ، اذ نراهم قد يطلقون لفظا واحدا على معان اصطلاحية متعددة (14) ٠

هـ ـ يستحسن ألا يصطلح بالفاظ مختلفة للمعنى العلمي الواحد ، وهذا أيضا لا يتقيد به الفقهاء المسلمون كثيرا ، بل هم أكثر تحللا منه عندما تخرج عن دائرة المذهب الفقهي الواحد الى دائرة المذاهب المتعددة ، فشركة المضاربة يطلق عليها بعض المذاهب لفظ (مضاربة) بينما يطلق عليها بعض المذاهب الاخرى (قراضا) ٠

11) انظر ابراهيم انيس / دلالة الالفاظ ص 145 وما بعدها ، ط 2 مكتبة الانجلو المصرية 1963 م٠ ٠

12) انظر صبحي الصالح / دراسات في فقه اللغة ص 292 ، ط 6 دار العلم للملايين ، بيروت 1976 ٠

13) إنظر البحث الذي قدمه الدكتور جميل الملائكة الى مؤتمر التعريب الثاني في الجزائر بعنوان « مستلزمات المصطلح العلمي » ، نشر في مجلة المجمع العلمي العراقي مجلد 24 / 1974 م ٠

14) انظر الفاظ مثل : العِدّة (في الصوم ، وفي المرأة المطلقة أو المتوفى زوجها) ، العدل (في الرهن ، وفي الشهادة) ، المُقتضى (في البيع والنص) ٠٠ وأمثالها ٠

و ـ يفضل اللفظ ـ المصطلح ـ العربي على غيره ما أمكن اليه سبيلا ·

ز ـ يستحسن تجنب الالفاظ التي ينفر الطبع منها اما لثقلها على اللسان أو لفحش دلالتها ·

ح ـ يستحسن تجنب النحت ما امكن ·

ـ 5 ـ

واذا ما تم نقل اللفظ ـ أعني المصطلح ـ من المعنى الاصلي الى المعنى الاصطلاحي ، فان ذلك لا يعني فقدان دلالته على المعنى الاصلي ، بل يصبح اللفظ ذا دلالتين الاولى أصلية لغوية ، والثانية اصطلاحية ·

والسؤال الآن : أيصير اللفظ بذلك من قبيل المشترك ؟ أم ان دلالته على المعنى الاصلي هي دلالة حقيقية ، ودلالته على المعنى الجديد هي دلالة مجازية ؟

لقد أطال العلماء البحث في ذلك ، وكثر بينهم الجدال مما يخرجنا الخوض فيه عما قصدناه من هذه المقدمة ، ولكن الذي نطمئن اليه :

ان المشترك لا بد من أن يعبر اللفظ الواحد فيه عن دلالتين متباينتين كل التباين ، دون أن يكون بينهما أي اشتراك (15) كالعين مثلا ، انها من المشترط ، لانها تدل على العين الباصرة ، وتدل على العين الجارية ، وتدل الجارية ، وتدل على الذهب ، وتدل على أشياء أخرى ، ولو ذهبنا نبحث عن نقطة لقاء بين هذه الدلالات كلها لرجعنا بخفي حنين ·

وان المجاز لا بد من أن يعبر اللفظ الواحد فيه عن دلالتين يوجد بينهما اشتراك (16) ، وقد عد علماء اللغة أبواب الحذف والزيادات والتقديم والتأخير والحمل على المعنى والتحريف كلها من المجاز (17) ·

وان المستقرىء للمصطلحات يدرك بأدنى تأمل الاشتراك الواضح بين المعنى الاصلي للفظ وبين المعنى الذي اصطلح على اطلاقه عليه ، لان المعاني الاصطلاحية لا تخرج في جملتها عن كونها تحمل زيادة على المعنى الاصلي للفظ أو حذفا منه ·

ونخلص من هذا الى أن المعاني الاصطلاحية هي معاني مجازية للفظ ، وأن اطلاق اللفظ عليها هو اطلاق مجازي ، وليس من قبيل المشترك ·

— 6 —

ـ تلك مقدمة في بيان طبائع اللغات اتخذناها جسرا نعبر عليه لنتوصل به الى نشأة المصطلح الفقهي ·

لقد بعث الله سبحانه محمدا صلى الله عليه وسلم بدين الاسلام ، وجعل معجزته القرآن الكريم ، وهي المعجزة اللغوية الوحيدة بين معجزات الرسل عليهم السلام ، وقد تبوأ القرآن الكريم مكان الصدارة لدى أرباب اللغة والبيان ، ومن ثم اعتبره الباحثون قديما وحديثا

---

15) السيوطي ، المزهر 1 / 369 ·

16) انظر محمد الانطاكي / الوجيز في فقه اللغة ص 390 ، مكتبة الشهباء ، حلب 1969 م ·

17) السيوطي ، المزهر 1 / 357 ·

أهم حدث في تاريخ هذه اللغة (18) ، وبدا اثر هذا الحدث واضحا في لغة الحديث النبوي الشريف ، ونستطيع أن نلاحظ هذا الاثر بسهولة ويسر في مجيء القرآن الكريم بأصول الدين الاسلامي وأحكامه مجملة دون تفصيل ، ثم تولت السنة النبوية الشريفة تفصيل ذلك وبيانه ، (وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم) ـ النحل / 44 ـ فالقرآن الكريم مثلا لم يذكر التكاليف العملية التفصيلية ، بل هو لم يبين المعاني المرادة لكثير من الالفاظ التي تحمل هذه التكاليف ، فضلا عن بيانه كيفية أدائها ، مع أن هذه الالفاظ كانت تحمل معاني جديدة لم يكن العرب يعرفونها من ذي قبل ، ولعل ابرز مثال على ذلك الفاظ (الصلاة ، الزكاة ، الحج ...) مع أن هذه الالفاظ كانت تُبين الاركان العملية للدين ، فجاءت السنة النبوية الشريفة تفصل أوقات الصلاة وكيفياتها ، كما فصلت القواعد والاسس التي يجب اتباعها في أداء الزكاة وجبايتها وصرفها (19).

والصلاة والزكاة نموذجان لما تناولته السنة النبوية بالبيان والشرح ، حتى انه ليصح لنا القول ـ اذا تكلمنا باسم اللغة ـ أن السنة النبوية تبين المراد من ألفاظ القرآن الكريم بيانا لغويا ، كما انها توضح المفاهيم الاخلاقية والاجتماعية والانسانية ، وتبين السلوك المترتب على هذه المفاهيم الجديدة التي أتى بها القرآن الكريم مما جعل الخلاف ينشب بين العلماء في جواز تفسير ألفاظ القرآن الكريم بكلام العرب من شعر ونثر .

وكان أبو عمرو بن العلاء (ت 154 هـ) يرى أن فهم لغة القرآن الكريم وتدبر معانيه غاية كل مسلم ، وان ما حفظ من شعر العرب ونثرهم ينبغي أن يكون أداة فهم لغة القرآن الكريم ، لانه انما نزل بلغتهم ، وعلى هذا النهج ألف أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت 209 هـ) كتابه (مجاز القرآن) وسائر كتبه في هذا الباب ، وهما مقلدان لعبد الله بن عباس (ت 68 هـ) رضي الله عنهما ، فقد روى السيوطي في الاتقان (20) أن ابن عباس كان جالسا بفناء الكعبة وقد اكتنفه الناس يسالونه عن تفسير القرآن ، قال نافع بن الازرق لنجدة بن عويمر : قم بنا الى هذا الذي يجترىء على تفسير القرآن بما لا علم لديه ، فقاما اليه ، فقالا : انا نريد أن نسالك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا ، وتاتينا بما صحقه من كلام العرب ، فان الله تعالى انما انزل القرآن بلسان عربي مبين ، فقال ابن عباس : سلاني عما بدا لكما .

فقال نافع : اخبرني عن قول الله تعالى : (عن اليمين وعن الشمال عزين) ؟

فقال ابن عباس : العزون : حلق الرفاق .

قال نافع : وهل تعرف العرب ذلك ؟

قال ابن عباس : نعم ، أما سمعت عبيد بن الابرص وهو يقول :

---

18) انظر الباقلاني ، ابو بكر محمد بن الطيب (ت 403 هـ) . اعجاز القرآن تحقيق السيد احمد صقر . القاهرة ، دار المعارف 1374 هـ / 1954 م ص 19 و 35 . وانظر فك ، يوهان . العربية : دراسات في اللغة واللهجات والاساليب ، ترجمة عبد الحليم النجار . القاهرة ، 1951 م . ص 1 وما بعدها .

19) انظر ابن الاثير ، المبارك بن محمد (ت 606 هـ) . النهاية في غريب الحديث والاثر تحقيق طاهر الزاوي ومحمود محمد الطناحي. ط الحلبي القاهرة (63 ـ 1965 م) . المقدمة 1/4 وما بعدها.

20) السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر (ت 911 هـ) ، الاتقان في علوم القرآن ، ط . الحلبي القاهرة 1370 هـ / 1951 م 1 / 120 وما بعدها .

فجاءوا يهرعون اليه حتى

يكونوا حول منبره عزينا

ثم استمر يساله على هذا الوجه مسائل عديدة ..

بينما كان الاصمعي ـ عبد الملك بن قريب (ت 214 هـ) يعارض تفسير القرآن بكلام العرب من شعر أو نثر ، فقد اشتهر عنه انه لم يكن يتعرض لتفسير انقاظ القرآن تورعا وتدينا ، فضلا عن الاستشهاد بالشعر في هذا الباب (21) .

ولعل تحرج الاصمعي مرده الى أن القرآن الكريم طرح معاني جديدة لكثير من الالفاظ هي غير المعاني التي تعارفها لها العرب ، ولاكتها بها ألسنتهم ، والاسراف في تحكيم المفاهيم العربية كما جاءت في شعرهم أو نثرهم بالمعنى المراد من ألفاظ القرآن قد يوقع في ترجيح مراد الناس من الفاظ القرآن على مراد الله تعالى منها .

لقد زاد القرآن الكريم هذه اللغة ثراء بما طرحه من المعاني الجديدة ، وبما نقله من الالفاظ من معانيها الاصيلة وجعلها معبرة عن المعاني الجديدة ، وبذلك يكون القرآن قد أهل اللغة العربية لاستيعاب التعبير عن الحضارة الجديدة ذات المفاهيم الجديدة .

لقد غرست الحضارة الاسلامية في أعماق الانسان مفاهيم جديدة في العقيدة ، والعبادات ، والمعاملات ، والاخلاق مما لم يألفه العرب في جاهليتهم ، وبذلك بدات مرحلة جديدة في تاريخ الحضارة ، انعكس اثرها على اللغة العربية اذ هي وعاء الفكر ودليله (22) .

ومن الطبيعي أن تتطلب هذه الحضارة الاسلامية مادة لغوية جديدة ـ تغاير معاني الالفاظ المعهودة قبل الاسلام للتعبير عن المعاني الجديدة تستمد معانيها من لغة التنزيل المجيد ، والحديث النبوي الشريف ، وهكذا نشات طائفة من الكلمات الاسلامية (23) سماها العلماء بعد ذلك (المصطلحات الاسلامية) قال ابن برهان : وصاحب الشرع اذ أتى بهذه الغرائب التي اشتملت الشريعة عليها من علوم حار الاولون والآخرون في معرفتها مما لم يخطر ببال العرب ، فلا بد من أسامي تدل على تلك المعاني (24) .

ويقول ابن فارس : كانت العرب في جاهليتها على ارث من ارث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقرابينهم ، فلما جاء الله جل ثناؤه بالاسلام حالت

---

21) أنظر ابو الطيب ، عبد الواحد بن علي اللغوي (.ت 351 هـ) مراتب النحويين تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ط مصر 1955 م ص 48 .

22) ولذلك وجدنا الحروب الصليبية المعاصرة قد وضعت مخططين للقضاء على الاسلام احدهما سياسي بجميع ابعاده السياسية والاخر فكري بجميع ابعاده اللغوية والادبية والثقافية والاخلاقية والنفسية والاقتصادية والفكرية ، وهو لا يعنينا هنا بشيء .

وكان من جملة خطوات هذا المخطط : ايجاد مجموعة من المعاجم قد جردت الفاظها من المعاني التي اضافها الاسلام تعبيرا عن مفاهيم محددة ، والعودة باللغة الى ما قبل الاسلام . تغذية للرابطة القومية التي طرحت كبديل عن الرابطة الاسلامية ، وكان من اشهر هذه المعاجم : محيط المحيط ، والبستان ، وفاكهة البستان والمنجد .

23) أنظر الرازي ، أبو حاتم أحمد بن حمران (ت 322 هـ) . كتاب الزينة في الكلمات الاسلامية العربية ، تحقيق حسين الهمداني ط القاهرة 1957 م . الجزء الاول ص 56 وما بعدها .

24) السيوطي / المزهر 1 / 299 .

احوال ، ونسخت ديانات ، وابطلت أمور ، ونقلت من اللغة الفاظ من مواضع الى مواضع أخر بزيادات زيدت، وشرائع شرعت ، وشرائط شرطت ، فعنى الآخر الاول، وشغل القوم بعد المغادرات والتجارات وتطلب الارباح والكدح للمعايش في رحلة الشتاء والصيف ، وبعد الاغرام بالصيد والمعاقرة والمياسرة بتلاوة الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وبالتفقه في دين الله عز وجل ، وحفظ سنن الرسول صلى الله عليه وسلم مع اجتهادهم في مجاهدة اعداء الاسلام ، فصار الذي نشأ عليه آباؤهم ونشأوا هم عليه كأن لم يكن ، حتى تكلموا في دقائق الفقه ، وغوامض أبواب المواريث وغيرها من علم الشريعة وتأويل الوحي بما دون وحفظ حتى الآن (25) وبعد الاستقراء والتتبع نستطيع أن نقول ان القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة هما اللذان فتحا باب الاصطلاح على مصراعيه ، وكان القرآن الكريم والسنة النبوية هما أول من أرسى قواعد المصطلح الاسلامي ، وكان عملها في هذا السبيل .

أ ـ اماتة كلمات لا مكان لدلالاتها من الحضارة الحديثة التي أرسى قواعدها القرآن والسنة ، ونذكر على سبيل المثال : الفاظ :

اتاوة : ما يفرضه الرئيس ونحوه لنفسه على الشخص من المال بغير حق ، وقد يرى البعض ان هذه هي الزكاة مع تبدل الاسم وبقاء الجوهر ، والحقيقة ليست كذلك ، لان الزكاة لا تجب الا على الغني ، وبنسبة أمواله ، وهي ليست للرئيس ولا يحق له أن يأخذ منها شيئا ، وانما هي للفقراء والمساكين .

الحلوان : ما ياخذه الرجل لنفسه من مهر ابنته ، وهذا قد حرمه الاسلام ، أو ما ياخذه الرجل على عمل لا يستحق عليه اجرا ، كحلوان الكاهن ونحوه، وقد حرمه الاسلام أيضا لانه اثراء بلا سبب واكل لاموال الناس بالباطل .

المكس : ما ياخذه الرئيس لنفسه من غلال الارض أو مما يحمله التجار ، وقد يرى البعض أن هذا هو عشر الزروع المفروض في الزكاة ، او ما يؤخذ من أصحاب الاراضي الخراجية في الخراج ، أو هو العشر الذي يحمله التجار من الاموال التجارية ، والحقيقة ان بين المكس وبين هذه الاشياء خرقا جوهريا وان بدت صورتها واحدة ، وهذا الفرق هو : أن هذه الاموال كانت تجبى للرئيس خاصته يتصرف بها كيف يشاء ، بينما صارت في ظل الاسلام تجبى لتتحقق بها مصالح الناس في خطه معلنة واضحة ومصارف معروفة منصوص عليها.

المرباع : اخذ الرئيس خالصا لنفسه ربع ما يحوزه رجاله من الغنائم ، وقد يرى البعض أن هذا هو خمس الخمس الذي نص عليه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بقوله (واعلموا أن ما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) الانفال / 41 والحقيقة ان بينهما فرقا ، اذ الرئيس كان ياخذ الربع ، بينما كان الذي خصصه للرسول صلى الله

25) ابن فارس ، ابو الحسين احمد ت 395 هـ . الصاحبي في فقه اللغة وسنن العربية في كلامها . تحقيق مصطفى الشويمي ط لبنان 1383 هـ . ص 78 وما بعدها .

عليه وسلم هو خمس الخمس 1/25 ينفق منه على نفسه وعياله ، فان فاض منه شيء انفقه على الفقراء والمساكين ، ولم يمسك منه شيئا (26).

النشيطة : ما ينشط الرئيس لاخذه لنفسه من نفائس الاموال عند قسمة الغنائم وقد يرى البعض أن هذا هو الصفي ، والحقيقة أن بينهما خرقا ، فالنشيط من حق كل رئيس ، أما الصفي فهو من حق النبي صلى الله عليه وسلم وحده (27) أما غيره من الرؤساء فليس له أن يصطفي لنفسه، ولكن له أن يصطفي للمصلحة العامة وقد اصطفى عمر بن الخطاب أموال كسرى وآل كسرى ، وأرض كل من فر عن أرضه أو قتل في المعركة ، وكل مغيض ماء أو أجمة ، فكان يقطع منها لمن أقطع (28) .

يقول الجاحظ (29) : ترك الناس مما كان مستعملا في الجاهلية أمورا كثيرة فمن ذلك : تسميتهم للخراج : اتاوة ، وكقولهم للرشوة ولما يأخذه السلطان : الحلوان والمكس ، كما تركوا : انعم صباحا ، وانعم ظلاما ، وصاروا يقولون : كيف أصبحتم وكيف امسيتم، كما تركوا ان يقولوا للملك أو السيد المطاع : ابيت اللعن ، وقد ترك العبد أن يقول لسيده ، ربي ، وكذلك حاشية السيد والملك تركوا ان يقولوا : ربنا ، .... الى أن قال :

... ومن الكلام المتروك والتي زالت اسماؤه مع زوال معانيها المرباع والنشيطة ، وبقي الصفايا ، فالمرباع : ربع جميع الغنيمة الذي كان خالصا للرئيس، وصار في الاسلام الخمس على سنة الله تعالى ، وأما النشيطة : فانه كان للرئيس أن ينشط عند قسمة المتاع العلق النفيس يراه اذا استحلاه ، وبقي الصفي، وكان لرسول الله من كل مغنم .

ب ـ استعارة الفاظ جديدة من لغات أخرى للتعبير عن دلالات جديدة وقد اشترك في هذه الاستعارة كل من القرآن والسنة ثم الصحابة والتابعون من بعدهم ثم الفقهاء من بعدهم وستبقى هذه الاستعارة مستمرة ما استمر تأثر الحضارات بعضها ببعض واللغات بعضها ببعض .

ـ فالقرآن قد استعار لفظ (المنافق) من الحبشية ليعبر بها عن الرجل الذي يبطن الكفر ويظهر الايمان (30) فاجراها الناس على أصولهم اللغوية ، شأنهم فيها شأنهم في أكثر ما يجلبونه من غير العربية اليها . كما استعار ألفاظ (أباريق ، واستبرق والتنور) وغيرها من الالفاظ من الفارسية ، كما استعار غيرها من لغات أخرى .

ـ والسنة قد استعارت ألفاظا من لغات متعددة مع دلالاتها ، واعتمدتها ضمن المصطلحات الاسلامية من ذلك لفظ (ديوان) من الفارسية فقد قال صلى الله عليه وسلم (الديوان عند الله ثلاثة : ديوان لا يعبأ الله به شيئا ، وديوان لا يترك الله عنه شيئا ، وديوان لا

---

26) انظر محمد روابس قلعه جي / موسوعة فقه عمر بن الخطاب مادة : غنيمة / 2 ب 2 ، ط مكتبة الفلاح بالكويت سنة 1401 هـ.
27) انظر ابن فارس / الصاحبي ص 90 .
28) انظر قلعه جي / موسوعة فقه عمر بن الخطاب مادة : صفى /2.
29) الجاحظ ، ابو عثمان / الحيوان 1 / 327 ـ 328 ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط الحلبي بالقاهرة سنة 1958 م .
30) انظر صلاح الدين المنجد / المفصل في الالفاظ الفارسية المعربة 83 وما بعدها ط 1 بايران سنة 1398 هـ .

يغفره الله ...) الحديث (31) . قال في نهاية : الديوان : الدفتر الذي يكتب فيه أسماء الجيش وأهل العطاء وهو فارسي معرب (32) .

ولفظ (خوان) فقد قال صلى الله عليه وسلم (.. حتى ان اهل الخوان ليجتمعون على خوانهم ..) الحديث (33) قال الجواليقي : الخوان ما يوضع عليه الطعام ليؤكل ، فارسي معرب (34) .

ولفظ (بريد) فقد قال صلى الله عليه وسلم : (اني اخيس العهد ولا احبس البرد) أي الرسل ، وأصل البريد في الفارسية البغل المقطوع الذنب ، فسمي الرسول الذي يركبه بذلك مجازا (35) .
وغير ذلك من الالفاظ كثير .

ـ والصحابة استعاروا لفظ (دهقان) وهو بالفارسية يعني رئيس الفلاحين أو رئيس القرية ، وقد أقر هذا المصطلح عمر بن الخطاب (36) وعلى بن ابي طالب (37) .

ولفظ طسْق وهو الخراج فقد ورد على لسان عمر ابن الخطاب (38) ثم على لسان عبد الله بن مسعود قوله (من أقر بالطسق فقد أقر بالذل والصغار (39)).

ولفظ بيشارجات وهو فارسي عامي وفصيحه فيشارجات (40) وهو ما يقدم قبل الطعام ، قال علي ابن ابي طالب : البيشارجات تعظم البطن .

ولفظ (الباج) واصله بالفارسية (باها) وهو الوان الطعام (41) قال علي بن ابي طالب : اجمعوا الهدايا واجعلوها باجا واحدا (42) واول من تكلم بها في العربية عثمان بن عفان (43) .

وتابع الفقهاء القرآن والسنة والرعيل الاول من الصحابة في استعارة الفاظ من اللغات الاخرى ، وجعلها مصطلحات تعبر عن معاني محددة في التصور الاسلامي، فكان مما استعاروه في الفقه : السفتجة ، والكدك وده بيازدة ، والسوكرة وغيرها من الالفاظ ، لا يرون بذلك باسا طالما قد سبقهم الى ذلك من هو خير منهم .

---

31) اخرجه الامام احمد في مسنده 6 / 240 ، الطبعة الاولى .
32) ابن الاثير / النهاية في غريب الحديث ، مادة : ديوان .
33) الحديث اخرجه الامام احمد في المسند 2 / 295 .
34) الجواليقي / المعرب ص 177 .
35) المنجد / المفصل في الالفاظ الفارسية ص 120 .
36) انظر قلعه جي / موسوعة فقه عمر بن الخطاب مادة : جزية / 3 و 2 .
37) انظر قلعه جي / موسوعة فقه علي بن ابي طالب مادة : جزية / 5 طبع دار الفكر بدمشق .
38) انظر قلعة جي / موسوعة فقه عمر بن الخطاب مادة : خراج / 3 ب .
39) انظر قلعة جي / موسوعة فقه عبد الله بن مسعود مادة : ارض / 1 حـ ط جامعة ام القرى .
40) الجواليقي / المعرب ص 252 .
41) نفسه ص 121 .
42) معجم البلدان 4538 .
43) الجواليقي / المعرب ص 121 .

ج – توليد كلمات جديدة من أصول عربية عن طريق تعديل الصيغة العربية لها على الاوزان الصرفية المعروفة للتعبير عن دلالات معينة ، وما أكثر ما صنع هذا القرآن والسنة وأصحاب رسول الله ، والفقهاء الذين أتوا من بعدهم ، من ذلك على سبيل المثال لا الحصر :

اطلاق الاستمتاع على الوطء (فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن) . واطلاق الاستفتاح على الدعاء المخصوص الذي يقرأ بعد التحريمة في الصلاة ، واطلاق الاستيلاء على اتخاذ الامة للوطء طلبا للولد .

واطلاق المبتوتة على المراة المطلقة طلاقا بائنا .

واطلاق المبعض على العبد الذي أعتق بعضه وبقي بعضه الآخر رقيقا .

واطلاق المحاقلة على بيع الحب في سنبله .

واطلاق المرابطة على الاقامة في الثغور في مقابلة العدو حراسة له من الغدر .

د – النحت : ونقصد بالنحت ان تاتي الى كلمتين أو أكثر فتنحت من كل واحدة حرفا أو اكثر ثم تصنع من هذه الحروف كلمة جديدة .

ولقد وقع النحت في المصطلحات الاسلامية على السنة الفقهاء ، ومن ذلك :

البسملة : قول (بسم الله الرحمن الرحيم) .

الحوقلة : قول (لا حول ولا قوة الا بالله) .

الحيملة : حي على الصلاة .

الحيعلتان : قول (حي على الصلاة ، حي على الفلاح) في الاذان .

ورغم أنهم لم يتوسعوا في النحت ، الا انهم استخدموه) ..

هـ – النقل : ونعني بالنقل : نقل اللفظ العربي من معنى الى معنى آخر ، لنقل لفظ الزكاة من معنى النماء الى معنى آخر هو اداء مقدار مخصوص من مال مخصوص لصرفه في مصارف مخصوصة ، فيقال للمعنى الاصلي – النماء – لكلمة زكاة : المعنى اللغوي ، ويقال للمعنى المنقول اللفظ اليه : المعنى الاصطلاحي ويقال للفظ المنقول : المصطلح .

وما أكثر ما وقع النقل في العربية بعد مجيء الاسلام ، فقد كان يكفي وجود ادنى مناسبة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي حتى يتم نقل اللفظ اليه .

أو دُرَّةٍ صَدَفِيَّةٍ غَوَّاصُهَا
بَهِجٌ مَتَى يَرَهَا يُهِلُّ وَيَسْجُدِ

وقال أبو عمرو : أَسْجَدَ الرَّجُلُ : طاطا راسه وانْحنى .

وانشد :

أَسْجِدْ لِلَيْلَى فَاَسْجَدَا (44)

44) شطر البيت من انشاد ابي عبيد (اللسان) .

يعني البعير اذا طاطا رأسه لتركبه · وهذا وان كان كذا فان العرب لم تعرفه بمثل ما أتت به الشريعة من الاعداد والمواقيت والتحديم للصلاة والتحليل منها · وكذلك **الصيام** أصله عندهم **الامساك** · ويقول شاعرهم (45) :

خَيْلٌ صِيامٌ وأُخرى غير صائمة
تحت العَجَاجِ ، وخيلٌ تعلُك اللُّجُمَا

ثم زادت الشريعة النية وحظرت الاكل والمباشرة، وغير ذلك من شرائع الصوم · وكذلك **الحج** لم يكن عندهم فيه غير **القصد وسبر الجراح** (46) ، من ذلك قولهم (47) :

وأشْهدُ من عوفٍ حُلولاً كثيرةً
يَحُجُّونَ سِبَّ الزِّبرقان المُزَعْفَرَا

ثم زادت الشريعة ما زادته من شرائط الحج وشعائره · **وكذلك الزكاة** لم تكن العرب تعرفها الا من ناحية **النماء** · وزاد الشرع ما زاد فيها مما لا وجه لاطالة الباب بذكره · وعلى هذا سائر ما تركنا ذكره من العمرة **والجهاد وسائر** أبواب الفقه ·

فالرجه في هذا اذا سئل الانسان عنه أن يقول : في الصلاة اسمان **لغوي وشرعي** ، ويذكر ما كانت العرب تعرفه ثم ما جاء به الاسلام (48) اهـ ·

والمتتبع لهذه الالفاظ المنقولة يجدها كلها وقعت في الاسماء دون الافعال والحروف ، قال الامام فخر الدين الرازي (وقع النقل من الشارع في الاسماء دون الافعال والحروف ، فلم يوجد النقل فيهما بطريق الاصالة بالاستقراء بل بطريق التبعية ، فان الصلاة تستلزم : (صلى) (49) اهـ ·

اقول : ولذلك رتبنا معجمنا هذا على الاسماء دون الافعال وطالما أن باب النقل ما زال مفتوحا ، لانه لا يمكن أن يغلق ـ كما قررنا سابقا ـ فالمجال أمام الفقهاء ممكن في نقل بعض الالفاظ ـ المصطلحات ـ الى معان اصطلاحية مستجدة ، لذا نجدهم قد استعملوا مصطلح (اشعار) اذ أطلقوه على الاعلام الرسمي المكتوب الموجه من جهة رسمية ·

وفي مصطلح (استيلاد) اذ أطلقوه على التلقيح الصناعي لصنوف الحيوانات وفي مصطلح (اشاعة) عندما أطلق على نشر كلام لا أصل له وغير ذلك من المصطلحات الحديثة ·

---

45) البيت وارد في (اللسان) منسوبا للنابغة الذبياني · وهو في ديوانه ·

46) البيت وارد في (اللسان) منسوبا للمخبل السعدي القريعي التميمي ، وهو شاعر مجيد مخضرم ·

47) يقال حج الشجة اذا سبرها بالميل ليعالجها (انظر معجمات اللغة) ·

48) الصاحبي لابي فارس ص 79 ·

49) المزهر للسيوطي 299 ·